

زروالي مفيدة



افعل الخير...

وامض



افعل الخير و... امض

افعل الخير، ليس لأن الناس يستحقونه، بل لأنك أنت تستحق أن
تبقى إنساناً، افعل الخير، وامض فالحياة قصيرة، والأثر الذي
تتركه هو ما يبقى، و اسلك طريقك بنية طيبة، فالطريق الذي
يُسلِك بالنية الطيبة لا يضيع أبداً.

فهرس الكتاب:

إهداء

مقدمة

الفصل الأول: افعل الخير في الخفاء

الفصل الثاني: لا تنتظر الشكر من أحد

الفصل الثالث: امض بعد احسانك

الفصل الرابع: لا تُكثر التبرير إن كان ما تفعله يُرضي الله

الفصل الخامس: الخير الخفي أكثر نورًا، و أجمل الأفعال تلك التي لا تُروى

الفصل السادس: حين تُظلم الحياة في وجهك، اجعل رحمتك نورا يضيء دربك

الفصل السابع: امض نحو الخير بخفة وروح نقية و قلب صافٍ خالٍ من أوزار الماضي

الفصل الثامن: لا تفسد خيرك بالندم

الفصل التاسع: الطيبة ليست ضعفاً

الفصل العاشر: الخير نجاه لك، قبل أن يكون معروفًا منك

خاتمة

إهداء

إلى الذي علّمني أن الخير لا يضيع، وأن ما يُزرع بنية خالصة لله
يُثمر ولو بعد حين إلى أبي حبيب قلبي و قدوتي
إلى قلبي الذي ثبت على ما كَبُرَ عليه و لم يتغير حين كان يتألم، و
لم يقسو حين حُذِل و اختار أن يبقى نقيًا رغم كل ما كان كافيا
ليجعله أقلّ صفاءً
إلى كل صانع خير لوجه الله، و لكل من ترك أثرا جميلا في نفوس
الغير.

مقدمة

لم أكتب هذا الكتاب لأعلم أحدًا كيف يكون طيبًا، فالطيبة لا تُدرّس بل تُولد مع القلوب الصادقة، كتبته لأنني أدرك أن الكثير منا يتردد كثيرا قبل بذل معروف و لو كان صغيرا، فيحرم نفسه من إشاعة الطيبة، و اشعال نور مهما بدا طفيفا في حياة الآخرين ناسيا أن كل فعل طيب صغيرا كان أم كبير له صدى يتجاوز حدود توقعاتنا، كتبته لأنني رأيت كثيرين يتوقفون عن فعل الخير، لا لأنهم تعبوا من المنح، بل لأنهم تعبوا من الخذلان،

هذا الكتاب رسالة هادئة لكل من ظنّ أن الخير ضاع، ولكل من ندم بعد إحسانه،

هو دعوة للسير بخطى ثابتة في دروب الحياة، لنشر الخير أينما حللنا، مهما كانت التحديات كبيرة، والطرق شاقة.

الفصل الأول: افعل الخير في الخفاء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ سورة آل عمران (5)

آية تذكّر أن العمل الخفي مرئي عند الله، والأعمال التي لا يشهدها أحد، يراها الله وإن غابت عن جميع الناس، و أن الخير الذي يُزرع في الخفاء حصاده عند الرحمان، و أنقى صور العطاء تتجلى في الخفاء،

فالأفعال الصالحة الخفية تصل إلى الله قبل أن تصل إلى العيون، و الله أسبق من الجميع بمكافئاتنا عليها و ما يُقدّم لوجه الله في السرّ يضيء دروبنا في ما بعد،

و رغم ذلك قد يشعر المرء أحياناً أن جهوده لا قيمة لها، و يظن أن الخير لا قيمة له إن لم يُرَ،

لكن الحقيقة أن أعظم الأعمال هي التي تُحفظ عند الله لا في ذاكرة الناس،

حين تفعل الخير في الخفاء فأنت لا تبحث عن المدح، ولا تنتظر الشكر من أحد، بل تبحث عن رضا الله وسكينة روحك،

هناك فرقٌ شاسع بين من يُحسن ليذكر، و من يُحسن لأن ضميره حيّ، فالأول ينتظر التصفيق، والثاني ينام قرير العين،

فالخير الخفي يربّي فينا الإخلاص، و ما يُزرع سرّاً يُثمر علناً، و من اعتاد أن يُحسن سرّاً أكرمه الله علناً بطمأنينةٍ لا تُشتري،

فالخير الذي لا يُرى، هو غالبًا الأصدق، والعطاء الذي لا يُعلن هو الأبقى أثرًا،

لذلك افعل الخير في الخفاء و امض، واجعل بينك وبين الله أعمالًا لا يعلمها سواه، فهي زادك حين تخفّ الموازين، ونورك حين تشتدّ العتمة، وسرُّ بركتك في الطريق.

و قد يظنّ البعض أن الخير يُقاس بحجم المال الذي يُدفع، أو بالعطاء الذي يُرى ويُعدّ، لكن الحقيقة أن الخير أوسع من أن يُحصر في مادة، وأعمق من أن يُختزل في صدقةٍ عابرة، فدعوتك لشخصٍ في غيابه خير، و إصلاحك لخطأً دون أن تُنسب الفضل لنفسك خير، حين تمسح دمة أحدهم خير،

الخير ليس فقط بالمادة الخير ابتساماً تُخفّف ثقل يومٍ طويل، و صبرٌ على أذى، و عفوٌ عند المقدرة، الخير كلمةٌ طيبة تُقال في وقتها، و دعوةٌ صادقة في ظهر الغيب،

فكم من شخصٍ لم يكن يملك مالاً، لكنه كان يملك قلباً رحيماً، ولساناً لطيفاً، ويداً تمتدّ للمساعدة، وكم من موقفٍ صغيرٍ غير حياة إنسان، لا لأنه كان مكلفاً، بل لأنه كان صادقاً،

فليست كل الصدقات تُدفع نقدًا، هناك صدقة الوقت حين تُنصت باهتمام، و صدقة المشاعر حين تحتوي حزينًا، و صدقة الكلمة حين ترفع معنويات متعب، و صدقة الستر حين تحفظ سرًّا، و صدقة الدعاء حين تعجز اليد،

الخير الحقيقي هو أن تكون سبباً في طمأنينة قلب، أو إزالة همّ، أو إحياء أمل، أن تكون خفيفاً على الناس، لطيفاً في حديثك، عادلاً في حكمك، صادقاً في نيتك،

قد لا تملك الكثير، لكن يكفي أن تملك نيةً طيبة، فالنية الصادقة تُحوّل أبسط الأفعال إلى أثرٍ عظيم، افعل الخير بما تملك، ولو كان كلمة، ولو كان وقتاً، ولو كان دعاءً، فالخير ليس فقط بالمادة، بل بالقلب الذي يُعطي قبل اليد.

الفصل الثاني: لا تنتظر الشكر من أحد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ سورة الإنسان (9)

في طريقك نحو الخير، سَتَمُدُّ يَدَكَ لِتُعِين، وتصلح و تُواسي، وربما لن تسمع كلمة شكر واحدة، قد تفعل خيراً كثيراً وتصادف صمتاً أكبر، لتتعلم حينها أنه ليس كل معروف يُقابل بالامتنان، وليس كل إحسانٍ يُردّ بالشكر،

وهنا يبدأ امتحانك الحقيقي فإن كان عطاؤك مشروطاً بالامتنان، ستتوقف إن لم تحصل عليه، أما إن كان الخير الذي تصنعه لوجه الله و لنشر المنفعة فلن يُثنيك شيء عن التوقف،

لذلك حين تفعل الخير، افعله لأنك اخترت أن تكون مُحسناً تجعل أثرك نوراً في حياة الآخرين، فالخير الذي يُصنع بقناعة، يبقى ثابتاً لا تهزّه ردود الأفعال،

لا تفعل الخير لأنك تبحث عن صورة جميلة أمام الآخرين، لأنك إن علقت قلبك بالشكر ستتعب، و تُصبح متعة فعل الخير عندك مجرد شقاء تسرع لإنهائه، أما إذا كان عطاؤك لله، فلا يهملك ردّ الناس، لأن من جعل خيره لله، عاش مطمئناً ولو لم يُذكر اسمه، لذا افعل الخير و امض، فالذي يمنح بلا انتظار، يعيش خفيف الروح، واسع الصدر، مطمئناً أن ما عند الله أبقى، وأن أعظم الجزاء، لا يُقال بل يُدخر، و أن جوهر العطاء الخالص لا ينتظر مقابلاً.

لذا لا تجعل قلبك يتغير لأن أحدهم لم يُقدّر، ولا تُطفئ نورك لأن أحدهم لم يره، كن ثابتًا على خُلقك، لا على ردود أفعال الآخرين،

لا تتوقف إن لم تتلقى الشكر من أحد، فقد تكون يدك التي امتدّت هي الأمان الذي انتظره أحدهم طويلاً، و لعلّ معروفاً صغيراً منك كان نوراً في ليلة مظلمة على أحد ما، ربما كنت فرحاً عظيماً في يومٍ ثقيل على قلب إنسان و أنت لا تدري، ربما لم تسمع شكراً، لكن راحةً نزلت على قلب أحدهم كانت بسببك، فلطفك أحياناً هو نجاة صغيرة لشخصٍ كان يغرق بصمت،

قد لا يشكرك أحد على فعل الخير، لكنك ستجد أثره يعود إليك يوماً،

فالامتنان للخير موجود، لكنه ليس دائماً مسموع، قد لا يُقال لك شكراً، لكن الدعاء في الغيب يصل، فليس كل امتنان يُنطق فبعضه يُحفظ في القلوب، أحياناً يكون الشكر راحةً تستقر في قلب أحد بسببك، قد يكون دعوةً صادقةً في ظهر الغيب، فما الأفضل بالنسبة لك، أن تسمع كلمة شكر أو أن تسبقك دعوةً خالصةً إلى الله، الأفضل هو الشكر الذي يُرفع إلى السماء قبل أن يُقال على الأرض،

ليس كل شكرٍ كلمة قد يكون الشكر ابتسامةً عابرة لم تنتبه لها، قد يكون الامتنان شعوراً عميقاً لا يجد طريقه إلى اللسان، الشكر ليس دائماً صوتاً أحياناً يكون أثراً، الشكر الحقيقي هو أن يذكرك أحدهم بخيرٍ وأنت غائب، و أصدق الشكر هو ما خرج من قلبٍ منكسرٍ فرفعه الله لك،

و بعض الناس قد لا يعرفون كيف يعبرون عن امتنانهم، بعضهم قد يخجل، وبعضهم قد ينسى، وبعضهم لا يستطيع النطق بكلمة شكر صادقة، لكن هذا لا يقلل من قيمة ما فعلته،

الشكر جميل حين يُقال، لكنه ليس حقًا مكتسبًا، فلا تنتظره لتستمر في الخير،

إن جاءك الشكر، استقبله بابتسامة صافية، وإن لم يأت، فاعلم أن أثر معروفك لن يضيع، وأن ثمار عملك محفوظة في قلوب لا تراها، وعند الله حيث لا يضيع عمل صالح،

امضِ بخطى ثابتة، وابقَ على مبادئك، فالعطاء الصادق لا يحتاج إلى شهادة البشر، بل يكفي برضا الله وسكينة قلبك.

الفصل الثالث: امض بعد احسانك

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ سورة الطلاق (3)

المضي بعد الإحسان في زمن الرسل و الصحابة:

زمن الرسل والصحابة كان زمن الإحسان، زمن كانت فيه القلوب صافية، والأيدي ممتدة للخير بلا انتظار مقابل، والنية مخصصة لله وحده،

في ذلك الزمان، كان الناس يُقَدِّمون المعروف والصدقة، يزرعون الرحمة والمحبة، ويغادرون بصمت بعد أن يتركوا أثراً في قلوب الآخرين.

هذا الفصل سيكون مخصصاً لبعض قصص المضي بعد الإحسان، التي تُجسد كيف يكون الخير أسمى عندما يُقدَّم بلا شهود، وكيف أن أثر الإحسان يستمر في النفوس حتى بعد مرور الزمن.

قصة زيارة الرسول عليه الصلاة و السلام للمريض الذي كان يؤذيه:

كان الرسول عليه الصلاة و السلام يمرُّ في طريقٍ اعتاد أن يسلكه كل يوم، و في ذلك الطريق رجلٌ يقف عند نافذته فكلما مرَّ النبي، ألقى عليه الأذى، سواء بلسانه أو بيده، لكن النبي صلى الله عليه و سلم لم يكن يردّ، و كان يمضي وكأن شيئاً لم يكن، والرجل مستمر في أذاه يوماً بعد يوم، والنبي مستمر في حلمه،

ثم جاء يوم مرَّ النبي عليه الصلاة و السلام بالطريق ذاته، فلم يسقط شيء، و لم تُفتح النافذة، فتوقف قلقاً على من كان يؤذيه

سأل عنه، فقيل له: إنه مريض، فذهب إليه، طرق بابه و دخل عليه.

نظر الرجل بدهشة، فالذي كان يؤذيه يقف عند رأسه زائراً!

قال له النبي عليه الصلاة و السلام بلطف:

"كيف تجدك؟"، ارتجف الرجل، لم يكن ينتظر عتاباً، ولا عفواً، كان ينتظر أن يُترك، لكن النبي صلى الله عليه و سلم لم يتركه، و لم يُذكّره بإساءته، و لم يطلب اعتذاراً، بل جاءه بالإحسان في لحظة ضعفه، ثم خرج ومضى.

الحكمة:

الإحسان الحقيقي ليس أن تُعامل من يحبك بلطف، بل أن تُردّ على الأذى بالرحمة، فالعفو عند القدرة أعظم طريقٍ لامتلاك القلوب، والخلق الحسن أقوى من كل ردٍّ وانتقام.

قصة الإمام الشافعي مع من أساء إليه:

اشتهر الإمام الشافعي بالتسامح و الحلم، فكان يقابل الإساءة بالحسنة، و كان أحدهم يسيء إليه بالكلام، فبلغه ذلك، فلما مرض ذلك الرجل، ذهب الشافعي لعيادته.

تعجب الرجل وقال:

"أتيتني وأنا الذي قلت فيك ما قلت؟"

فقال الشافعي:

"ألا أكون أخاك في الشدة وإن لم أكن أخاك في الرخاء؟"

الحكمة:

التسامح الحقيقي هو أن تكون سندا للآخرين في أوقات ضعفهم، حتى لمن أساء إليك، فالقلب الرحيم لا يُقاس بعدد من أحسن إليهم، بل بعدد من غفر لهم وعاد إليهم بالخير.

قصة العجوز العمياء و أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب:

كان عمر بن الخطاب يلاحظ كل صباح أن أبو بكر الصديق يخرج بعد صلاة الفجر متجهاً إلى أطراف المدينة، ويدخل بيتاً صغيراً ثم يمكث فيه مدة طويلة قبل أن يعود إلى منزله،

تعجب عمر من هذا الأمر، فقد كان يعرف أعمال أبو بكر وخيره، لكنه لم يعرف سر هذا البيت،

وذات يوم قرر عمر أن يتتبع الأمر بنفسه، فانتظر حتى خرج أبو بكر من البيت، ثم دخل بعده ليكتشف الحقيقة

فوجد داخله عجوزاً ضريرة، ضعيفة الجسد، تعيش وحدها ولا تقوى على الحركة،

اقترب منها عمر وسلّم عليها، ثم سألها:

من هذا الرجل الذي يأتيك كل صباح؟

فقالت: والله يا بني لا أعرفه، لكنه يأتي كل يوم، ينظف بيتي، ويكنسه، ويعد لي طعامي، ثم ينصرف دون أن يتحدث معي،

تأثر عمر كثيراً بما سمع، وعرف أن هذا العمل الخفي هو من أعمال أبو بكر الصديق،

وبعد وفاة أبو بكر، قرر عمر أن يواصل رعاية العجوز، فصار يأتيها كل صباح كما كان يفعل صاحبه، وفي أحد الأيام، عندما قدم لها الطعام، قالت العجوز: أمات صاحبك؟

تعجب عمر وقال: وكيف عرفت؟

فقلت: كان يأتي لي بالتمر وينزع منه النوى قبل أن يقدمه لي، أما أنت فقد جئتني به دون أن تنزع النوى.

عندها جلس عمر على ركبتيه، واغرورقت عيناه بالدموع، وقال: "لقد أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر".

الحكمة:

الإحسان الخفي أعظم من الظاهر، والخدمة الصامتة لمن لا يعرفك تترك أثرًا في القلوب يفوق كل شهرة، فالأعمال التي تُقدّم بلا انتظار جزاء هي التي تُخلّد صاحبها في ذاكرة الإنسانية.

قصة عمر بن الخطاب والمرأة الجائعة مع أطفالها:

في ليلة هادئة من ليالي المدينة، خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعادته يتفقد أحوال الناس، يحمل همّ الرعية في قلبه ويسير بين الأزقة في صمت.

وبينما هو يمشي، سمع بكاء أطفال يتصاعد من بعيد، بكاءً يحمل ألم الجوع ووجع الحرمان.

اقترب من المكان، فوجد خيمةً صغيرةً تقف عندها امرأة، وأمامها قدرٌ يغلي فوق النار، بينما يجلس أطفالها يبكون بحرقه.

سألها عمر بلطف:

ما بال أطفالك يبكون؟

قالت بحزن:

يبكون من الجوع.

قال:

وماذا في القدر؟

تنهدت وقالت:

ماء فقط، أضعه على النار لأوهمهم أن الطعام يُطهى، حتى يناموا من شدة التعب.

ثم قالت بكلمات موجهة وهي لا تعرف من يقف أمامها:

الله بيننا وبين عمر بن الخطاب، لقد شغل نفسه عنا وتركنا للجوع.

ارتجف قلب عمر، وامتلات عيناه بالدموع، وشعر بثقل المسؤولية

على كتفيه، ثم التفت إلى مرافقه وقال بسرعة:

هيا بنا إلى بيت المال.

وصل مسرعًا، فأخذ كيسًا من الدقيق وزيتًا وطعامًا، وحمله على

ظهره بنفسه.

فقال له مرافقه:

دعني أحمله عنك يا أمير المؤمنين.

فنظر إليه عمر وقال:

أتحمل عني وزري يوم القيامة؟

عاد إلى الخيمة، وأشعل النار، وبدأ يطبخ الطعام بيديه، وينفخ في النار حتى امتلأ وجهه بالدخان، حتى نضج الطعام وأطعم الأطفال بنفسه فهدأ بكاؤهم.

عندها ابتسم عمر و قال: إذا رأيتُموني نمت فاعلموا أن الأطفال شبعوا.

الحكمة:

القيادة الحقيقية ليست بالسلطة أو المنصب، بل بالرحمة والعمل بنفسك لتخفيف معاناة الناس، فالقلب الذي يشعر بجوع الآخرين قبل جوع نفسه هو الذي يزرع الأمان والمحبة في كل بيت.

قصة عثمان بن عفان و بئر رومة:

بعد الهجرة إلى المدينة، كثر المسلمون واشتدّ بهم العطش، وكان في المدينة بئرٌ يُسمى "بئر رومة"، وهو من أكبر الآبار و أعذبها، لكنه كان ملكاً لرجلٍ يهودي يبيع ماءه للناس بثمنٍ مرتفع، حتى أصبح الفقراء يعانون للحصول على قطرة ماء.

وصل الخبر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فشعر بألم المسلمين، وقرر أن يجد حلاً يخفف عنهم.

ذهب إلى صاحب البئر وعرض عليه شراءها، لكنه رفض.

فقال عثمان:

إذا بعني نصفها.

فوافق الرجل، ظناً منه أن الربح سيزداد وأن الأمر لن يؤثر عليه. اشترى عثمان نصف البئر، وجعل يومه صدقة لله تعالى، يفتح فيه البئر للناس جميعاً بلا مقابل.

فصار أهل المدينة ينتظرون يوم عثمان ليملئوا أو عيتهم، ويأخذوا ما يحتاجون من الماء مجاناً، ولم يعد أحد يشتري في يوم اليهودي، فقلّ ربحه وخسر تجارته.

بعد أيام، جاء الرجل إلى عثمان وقال:

خذ النصف الآخر وبعني إياه بثمانه.

فاشتراه عثمان بعشرين ألف درهم، وجعل البئر كله وقفاً للمسلمين، يشربون منه بلا ثمن، وينتفع به كل محتاج.

وذات يوم جاء أحد الصحابة يريد شراء البئر بثمان كبير، أضعاف ما دفعه عثمان، لكنه ابتسم وقال:

لقد عرض عليّ الله أكثر، الحسنة بعشر أمثالها.

ومنذ ذلك اليوم بقي بئر رومة صدقةً جارية، يشرب منه الناس، ويجري أجره لصاحبه إلى يوم القيامة.

الحكمة:

الخير الحقيقي لا يُقاس بالمال أو الربح، بل بما تُقدمه للبشرية من راحة وعطاء دائم، فالصدقة التي تجعل للناس مصدر حياة تبقى أجراً ونعمة لا تنقطع أبداً.

قصة عبد الله بن عمر مع الفقراء:

كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه من أكثر الصحابة إحساناً إلى الفقراء والمساكين، فقد تربى في بيت الإيمان مع والده عمر بن الخطاب، وتعلم أن الصدقة لا تكون بالكلام بل بالفعل.

في يومٍ من الأيام، جاءه ضيفٌ وهو صائم، وكان عنده طعامٌ قليل يكفيه وضيفه فقط.

وبينما هم يستعدون للإفطار، مرَّ مسكينٌ يطلب الطعام، فنظر عبد الله بن عمر إلى ضيفه وقال:

أعطوه الطعام.

تعجب الضيف وقال:

وكيف نفطر إذاً؟

فقال عبد الله بن عمر بهدوء:

من أحبَّ الله، أطعم عباد الله.

فأعطوا الطعام للمسكين، وبقي عبد الله بن عمر وضيفه بلا طعام، واكتفيا بالماء في تلك الليلة.

وفي يومٍ آخر، جاءه مالٌ كثير، فقسّمه بسرعة على الفقراء، حتى لم يبقَ عنده شيء.

فقال له خادمه:

يا ابن عمر، لو أبقيت شيئاً لنفسك.

فقال:

إن الفقراء أحق به منا

وكان إذا جاءه سائلٌ لا يرده أبدًا، حتى إن بعض الناس لاحظوا أنه إذا أحب طعامًا أعطاه للفقراء.

وفي مرةٍ اشتهى طعامًا خاصًا، فلما قُدِّم له جاء مسكين يطلب الطعام، فدفَع إليه الطبق كله وقال:

خذها، فإني أحبها، والله يقول:

"لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون".

وكان لا يأكل وحده أبدًا، فإذا جلس للطعام بحث عن فقير أو مسكين ليشاركه، فإن لم يجد أحدًا ترك الطعام.

وهو يقول: كيف يشبع عبد الله بن عمر وهناك من حوله جائع.

الحكمة:

الكرم الحقيقي هو أن تجعل قلبك ممتلئًا بالآخرين قبل نفسك، وأن تنفق مما تُحب في سبيل الله، فالمُحسن حقًا هو من يرى في سعادة الآخرين غذاءً لروحه وعزًّا لإيمانه.

الفصل الرابع: لا تُكثر التبرير إن كان ما تفعله يُرضي الله

في حياتنا اليومية، كثيرًا ما نقف أمام خيارات صعبة، ونشعر بحاجة للتبرير أمام الناس، لنثبت لهم أننا على حق، أو لنكسب رضاهم، لكن تذكر دائمًا أن الحكم النهائي ليس للناس، بل لله عز وجل، كما قال الله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ سورة القلم (7)

هذا التذكير يضعنا أمام الحقيقة البسيطة ما يرضي الله يكفيك، ولا حاجة لشرح نفسك لكل من حولك،

عندما تُقدم عملاً صالحًا أو تلتزم بأمر الله، لا تُنفق طاقتك في الدفاع عن اختياراتك أمام من قد لا يفهمون قيمتها، فمثلاً:

إذا قررت الابتعاد عن موقف خاطئ أو قول كلمة جارحة، لا تحاول أن تشرح للآخرين دوافعك، فالله يعلم ما في قلبك وهذا يكفيك الطمأنينة الحقيقية تأتي عندما تدرك أن الأعمال الصالحة لا تحتاج إلى شهادة بشرية، وأن التبرير الزائد للناس قد يُخفف من نقاء نيتك، فالقلب الذي يطمئن برضا الله لا يهتز بآراء الآخرين،

تذكر دائمًا أن الحكم لله وحده، وأن كل خطوة صادقة في طريق الحق هي شهادة لك أمامه، قبل أن تكون شهادة أمام أي إنسان، فالنية الطيبة والعمل الصالح هما ما يرفعانك، لا كلماتك المبررة أو أعذارك المتكررة.

الفصل الخامس: الخير الخفي أكثر نورًا، و أجمل الأفعال تلك التي لا تُروى

في زمن تكثر فيه الأضواء والأنظار، يذكّرنا الله تعالى بأن أعظم الأعمال ليست ما يراه الناس، بل ما يراه الله في قلوبنا، فالخير الخفي هو الذي يزرع الطمأنينة في القلب قبل أن يصل إلى الآخرين، والسر في الصدقة أو العمل الصالح هو سر قوته ونوره، قال الله تعالى:

﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۗ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ سورة البقرة (271)

حين تُقدم عملاً صالحاً في الخفاء، تشعر بسلام داخلي لا يُضاهيه شيء، لأنك عملت لوجه الله، ولم تنتظر مديحاً من البشر، ولا شهادتهم على صدق نيتك، في هذه اللحظة، يُصبح قلبك مستريحاً، وروحك متصالحة مع الله، وهذا الشعور وحده يعادل أضعاف ما يُمكن أن يُقدمه أي تقدير بشري.

الخير الخفي هو النور الذي يضيء القلوب بصمت، والفضل الذي يزداد قوة كلما أبقيت عمالك سراً، فكل خطوة نحو الخير، وكل فعل صالح يُقدّم بلا إعلان، له أثر طويل الأمد في نفسك وفي حياة الآخرين، ويترك بصمة صامتة تزداد نوراً في عالمك الداخلي قبل أن تصل للآخرين.

لا تبحث عن من يشهد لك أو يمدحك، فالأعمال التي تُقدّم لله وحده تكون خالدة، وأجرها عنده مضاعف، وثمارها تصل إليك في الدنيا قبل الآخرة على شكل راحة وسكينة وطمأنينة لا يملأها شيء آخر، فالإنسان الذي يزرع الخير في صمت، كأنه يزرع شجرة في الظل

قد لا يراها أحد، لكنها تعطي ثمارها وتظل الآخرين وتُنْعَش
الأرض بأكملها، وهكذا الأعمال الصالحة التي لا تُروى تظل نورًا
يضيء قلوب الناس ويغذي روحك بسلام داخلي لا يقدر عليه أحد.

الفصل السادس: حين تُظلم الحياة في وجهك، اجعل رحمتك نورا يضيء دربك

تمر بنا الأيام أحيانًا كأنها غيوم سوداء تخيم على قلوبنا، وتُثقل أرواحنا بالأذى والخيبة والخذلان، يشعر الإنسان حينها أن الحياة ظلمته، وأن كل الطرق مغلقة، وأن أصوات الآخرين لا تسمع سوى صدى الإحباط في قلبه، لكن في تلك اللحظات، تأتي رسالة الله لنا، لتذكرنا أن السمو الحقيقي ليس في رد الإساءة أو الانتقام، بل في أن نرتقي فوق الظلام ونحو النور، قال الله تعالى:

﴿ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ سورة فصلت (34)

هذه الآية ليست مجرد كلام، بل قاعدة إلهية تُعلّمنا أن نرفع مستوى رحمتنا، ونحوّل كل موقف مؤلم إلى فرصة لتقديم الخير، بل إلى نورٍ يضيء دربنا قبل أن يلمس الآخرين، فحين يخطئ في حقك أحد، وحين يُحبطك موقف، أو يُقسو عليك الناس، لا تجعل الظلام يتحكّم بك، بل اجعل رحمتك وسعة صدرك وسيلة لتهدئة قلبك وإشاعة السلام حولك،

السمو فوق الأذى ليس ضعفًا، بل قوة خفية تنبع من اليقين بأن الله يراك، وأن كل فعل رحمة تصنعه هو أجر لك قبل أن يكون للآخرين،

الرحمة حين تُقابل القسوة تُصبح نورًا، والنفس التي تُسيطر على غضبها وترد على الإساءة بالحسنى تكتسب حرية داخلية لا يمكن لأي ظلم أن يأخذها منها.

تخيل أن الحياة أطفأت حولك كل الأنوار، وأن الكلمات الجارحة والمواقف المؤلمة كثرت، فبدل أن تُجيب بالقسوة، تجيب

بالابتسامة، وبدل أن تُسكت الأذى بالصراخ، تُسكت قلبك بالصبر
والحلم، وبدل أن تبني حائطاً من الحقد، تبني جسراً من الرحمة،
في تلك اللحظات، لن تضيع الطاقة في الحقد، ولن تثقل قلبك
بالغضب، بل ستجد السلام ينبع من داخلك، وتصبح حياتك مرآة
لرحمة الله التي تسري فيك.

الفصل السابع: امضِ نحو الخير بخفة وروح نقية و قلب صافٍ خالٍ من أوزار الماضي

كثيرًا ما يُثقل الماضي قلوبنا، نحمل عليه آلامًا، خصومات، أو ذنوبًا لم نستطع أن نصلحها، نعيش كل يوم وكأن أعباء الأمس تمنعنا من التحرك بحرية نحو الخير، وكأن الماضي قد رسم حدودًا لقلبنا وقيّد خطواتنا، لكن الله سبحانه وتعالى يفتح لنا باب الرحمة والفرصة لنمضي إلى الأمام، خالين من كل ثقل، خالصين النية، طاهرين القلوب، كما يقول تعالى:

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ سورة الشورى (40)

العفو ليس مجرد كلمة نقولها، بل هو خفة على القلب، وراحة للنفس، ونور للروح، حين تغفر للآخرين وتصلح ما أمكنك من أخطاء الماضي، فإنك تفتح لنفسك الطريق نحو الخير، وتصبح خطواتك أخف، وقلبك أنقى، وروحك أصفى، لا تسمح للأحزان القديمة أو الأحقاد أن تُثقل روحك، بل امضِ بخفة، واعلم أن كل فعل صالح تقوم به اليوم، وكل كلمة رحمة تنطق بها، هي أجر محفوظ عند الله، لا يضيع، ويملاً قلبك بالسكينة التي لم تعرفها من قبل.

تخيل أنك تحمل حقيبة ثقيلة مليئة بالذنوب القديمة والأحقاد، فتشعر كل يوم بالإرهاق والتعب، حين تختار العفو، وتترك الماضي خلفك، تصبح الحقيبة فارغة، ويصبح الطريق أمامك واسعًا، مشمسًا، والخير يسري في خطواتك، بلا عائق، هذه الحرية الداخلية هي أعظم مكسب، لأنها تجعلك ترى الخير في كل مكان، وتستطيع أن تُقدم الرحمة والإحسان دون تردد أو خوف.

العفو لا يرفعك عند الناس فحسب، بل يرفعك عند الله، ويصبح أجره محفوظاً لا يضيع، فالذي يسامح ويصلح ما أمكنه من الماضي هو من يكتسب قوة داخلية أكبر من أي انتقام أو عقدة، ويصبح قلبه صافياً، وروحه خفيفة، وعمله الصالح أكثر نوراً ووضوحاً.

الفصل الثامن: لا تفسد خيراك بالندم

كم مرة توقفت عن فعل الخير خوفاً من الخطأ، أو شككت في قدرته، أو جلست بعده تشعر بالندم، متسائلاً: هل كان عملي صواباً؟ هل سيتقبله الآخرون؟ هل ضاع جهدي؟

الله عز وجل يطمئننا في كتابه الكريم في قوله:

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ سورة البقرة (110)

أي خير تقدمه لا يضيع أبداً، بل يُدخِر لك عند الله، مهما بدا صغيراً أو بسيطاً في عيون الآخرين، كل ابتسامة صادقة، كل كلمة طيبة، كل يد عون مددت بها للمحتاج، كل خطوة خيرية قمت بها، لها أجر محفوظ لا يزول، حتى لو لم يُشهد لك بها أحد.

الندم على الخير هو أكبر عائق أمام استمرارنا في العمل الصالح، فحين يُثقل القلب بالشكوك بعد فعل الخير، تحرم نفسك من شعور الطمأنينة والسكينة التي كانت ستغمر روحك،

تخيل شخصاً ساعد فقيراً، لكن بعد دقائق جلس يحسب حسابه، هل كان يستحق ذلك؟ هل ضاع جهدي؟ بهذه الطريقة، يحول الندم نور فعل الخير إلى ثقل على قلبه، بينما الخير نفسه باقٍ ومحصور عند الله عز وجل، لا يضيع أبداً،

كل لحظة خير تقوم بها، مهما بدت بسيطة، هي استثمار أبدي، ابتسامة أخرجتها من قلبك، كلمة رحمة قلتها في الوقت المناسب، يد عون مددت بها لمن يحتاجها، كلها أعمال تُكتب لك ولا يضيع أجرها، حتى لو لم ترى أثرها أمامك، أو لم تشهد الناس قيمتها،

فهي عند الله محفوظة، وهي نور يضيء حياتك ويُغذي قلبك
بالطمأنينة.

الفصل التاسع: الطيبة ليست ضعفاً

في زمن تتسارع فيه الأحداث، وتكثر فيه المواقف التي تُغضبنا أو تؤذينا، كثيراً ما يُساء فهم الطيبة والصفح، يظن البعض أن التسامح والرحمة دليل ضعف، وأن الغضب والرد بالمثل هو القوة الحقيقية، لكن القرآن الكريم يوضح لنا الحقيقة في قوله تعالى:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ سورة الشورى
(43)

الصفح والقلب الرحيم ليسا ضعفاً، بل هما قوة داخلية نادرة، القوة الحقيقية ليست في السيطرة على الآخرين بالقسوة، بل في السيطرة على نفسك بالرحمة، وفي قدرة قلبك على تجاوز الإساءة بلا ألم، وتحويل كل موقف مؤلم إلى فرصة للسمو على الأذى،

الطيبة تمنح الإنسان حرية داخلية، تجعل خطواته أخف، وتفتح قلبه لكل خير حوله، حين تختار الصفح بدل الانتقام، تتحرر من قيود الماضي، من الأحقاد، ومن الخيبات، وتصبح قادراً على العيش بسلام داخلي ونقاء،

الصبر والغفران يجعل قلبك مرناً كالأرض التي تمتص المطر، فتتحول كل كلمة جارحة، وكل موقف مؤلم، إلى تربة خصبة للسكينة والنور.

الصفح لا يعني التساهل مع الخطأ، بل هو اختيار السمو فوق الصغائر، والرد بالحكمة بدل الانفعال، والعطاء بدل الانغلاق، الطيبة تمنحك القدرة على أن ترى الخير في القلوب، وأن تزرع نوراً في حياة من حولك، دون أن تنتظر مقابلاً، ودون أن تبحث عن اعتراف من الآخرين.

الفصل العاشر: الخير نجاة لك، قبل أن يكون معروفًا منك

يظن الكثيرون أن الخير يُقدّم للآخرين فقط، وأن أثره يبدأ ويقف عند من يستفيد منه، لكن الحقيقة أعظم من ذلك وأكثر عمقًا، فقد بين الله سبحانه وتعالى أن كل عمل صالح تقوم به يعود أولاً إلى نفسك، قبل أن يصل للآخرين، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ سورة فصلت (46)

الخير الذي تُقدمه، ولو كان بسيطاً، لا يضيع، ولا يقتصر أثره على من يصل إليهم فقط، بل ينجو بك أولاً، ويزرع السلام في قلبك، ويُغذي روحك بالطمأنينة والسكينة، كل كلمة طيبة، كل ابتسامة صادقة، كل يد مددت بها للآخر، هي استثمار روحي لك قبل أن تكون معروفًا من أحد.

حين تفعل الخير بخشوع وصدق، فإنك تحمي نفسك من الضغوط النفسية، من الحقد، ومن الأنانية التي تثقل القلب، الخير يرفعك فوق أعباء الحياة، ويملأ قلبك بالراحة، ويجعلك ترى النور في أصغر التفاصيل، حتى لو لم يعرف أحد ما فعلت، فإن قلبك يعرف، وروحك تشعر بالسكينة، وهذا وحده أجر عظيم.

الخير الحقيقي ليس طلب الثناء، ولا انتظار الشكر، ولا السعي وراء الشهرة، هو شعور داخلي بأنك فعلت الصواب، وأنتك ساهمت في نشر الرحمة، ولو كان ذلك في صمت، فكل عمل صالح تقوم به اليوم، مهما بدا صغيراً أو عابراً هو نجاة لك من أعباء القلوب الثقيلة، وهو وقود لنور داخلي يضيء حياتك، ويجعلك أقوى أمام تحديات الغد.

خاتمة:

وفي ختام هذا الكتاب يبقى المعنى الأجل ثابتًا في القلب
 أن الخير لا يحتاج ضجيجًا، ولا ينتظر تصفيقًا، ولا يقف طويلًا
 عند الأبواب ليُعرّف بنفسه، الخير الحقيقي يمضي في هدوء،
 ويترك أثره في الأرواح قبل أن يُرى في الأفعال،
 لقد مررنا معًا في هذه الصفحات بمحطاتٍ تُذكّرنا أن الإحسان سرّ
 بين العبد وربّه، وأن الطيبة قوة، وأن الصمت بعد المعروف أبلغ
 من ألف كلمة، وأن النور الذي نزرعه في دروب الناس يعود يومًا
 ليُضيء عتمتنا نحن،

افعل الخير... ولو لم يره أحد

افعل الخير... ولو لم يشكرك أحد

افعل الخير... ولو لم يفهمك أحد

ثم امض...

امض بقلب مطمئن، وروح هادئة، ونفسٍ تعلم أن الله لا يُضيع
 مثقال ذرة من إحسان،

فما كان الله يبقى

وما زرع في الخفاء يُزهر في العلن

وما خرج من قلبٍ صادقٍ يصل حتمًا إلى قلبٍ آخر، أو يصعد إلى
 السماء دعاءً لك دون أن تشعر

تذكّر دائمًا:

ربما تنسى أنت خيرًا فعلته، لكن الله لا ينساه

وربما لا يرى الناس نورك، لكن الله يراه
وربما تمضي وحدك، لكن الأجر يمضي معك.